ندوة علمية تكوينية: "الوعي الحداثي عند الشعراء العرب "

يوم 29 أفريل 2024

كلية الاداب والحضارة الإسلامية

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

المظاهر الجمالية للحداثة الشعرية العربية

د.إيمان برقلاح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص:

شهد الشعر العربي في القرن العشرين موجة من التَّحولات مسَّت جوانب عدة، منها ما تعلّق بالنّاحية الشّكلية، ومنها ما ارتبط بالمضامين، وهذا لا يعني أن الشاعر العربي قد تمرد على البناء العام للقصيدة، وإنما أضفى عليها الجمالية من خلال توظيف الحداثة الواعية ومظاهرها على مضمونها حتى تكون مسايرة للعصر ومتطلباته ،من حيث الموضوعية والحيوية والديمومة.

مما سبق، تسعى هذه الدراسة إلى إماطة اللثام عن مفهوم الحداثة العربية،و أهم مظاهرها الجمالية التي يشترك جل الشعراء في توظيفها ،والتي تنوعت بين تكرار و غموض و قناع و رمز و أسطورة.

الكلمات المفتاحية: المظاهر الجمالية،الحداثة،الشعر العربي.

Abstract:

In the twentieth century, Arabic poetry witnessed a wave of transformations that affected many aspects, some of which were related to the formal aspect, and some of which were related to the contents. This does not mean that the contemporary poet has rebelled against the

general structure of the poem, but rather he gave it aesthetics by employing modernity and its manifestations over its content, until It should keep pace with the times and its requirements, in terms of objectivity, vitality and sustainability.

From the above, this study seeks to uncover the concept of Arab modernity and its most important manifestations, which varied between employing repetition, ambiguity, masks, symbols, and various myths.

Keywords: modernity, poetics, repetition, mask, symbol, mystery, myth.

مقدمة:

تبنى الشعراء مصطلح الحداثة بغية تحقيق قدر من الموضوعية في قصائدهم الشعرية ،و بعث نوع من المرونة والانفتاح على عوالم التجديد والتحديث، الذي يخدم القصيدة المعاصرة.

ولعّل أوّل انطلاقة لهذه التغيرات بدأت مع موسيقى الشعر العربي، حيث سعى الشاعر إلى التحرر من قيود القصيدة العربية القديمة،فكسر نظام الشطرين ،و القافية الواحدة،و البحر الواحد،فظهر ما يسمى بقصيدة التفعيلة التي تعد ثورة حقيقية على قوانين شعرية سادت لقرون عديدة.

كما تأثر الشعر العربي بالحداثة الشعرية الغربية وما جاءت به من قضايا وتقنيات حديثة ،فتبنى مظاهر جمالية،جعلت منه نصا مشحونا بقضايا إنسانية أكثر تعقيدا فوظف التكرار و الأقنعة و الرموز والأساطير، وأخذت لغته تتسم بالتّكثيف والغموض.

و قبل التفصيل في أهم المظاهر الجمالية للحداثة الشعرية العربية ،سنعرج سريعا على مفهوم الحداثة الشعرية العربية.

1-مفهوم الحداثة الشعرية العربية :

يأخذ مفهوم الحداثة La modernité مكانه اليوم في حقل المفاهيم الغامضة ،و إذا كان هذا المفهوم يعاني من غموض كبير في بنية الفكر الغربي الذي أنجبه،فإن هذا الغموض يشتد في دائرة

ثقافتنا العربية و يأخذ مداه ليطرح نفسه إشكالية فكرية هامة تتطلب بذل مزيد من الجهود العلمية لتحديد مضامينه و تركيباته و حدوده[1].

و رغم ذلك سنحاول عرض جملة من التعاريف الشائعة التي تحاول الإلمام بهذا المصطلح و نذكر منها ما أورده علي عشري زايد حيث يقول: "الحداثة هي مقولة فنيّة وليست مقولة زمنية، فالقصيدة الحديثة في هذه الدراسة هي التي كتبت بمفهوم حديث القصيدة، وأسلوب حديث في كتابتها، وليست هي التي كتبت في العصر الحديث، فكم من قصائد كتبت في أقدم عصور الشعر العربي هي أقرب إلى مفهوم الحداثة من كثير ما يكتب في العصر الحديث من شعر"[2].

أما الحداثة فنيًّا عند أدونيس "فهي تعدُّ تساؤلا جذريا يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها وافتتاح آفاق تجريبية جديدة في الممارسة الكتابية، وابتكار الطرق للتعبير، تكون في مستوى هذا التساؤل، وكشرط هذا كلّه الصدور عن نظرة شخصيّة فريدة للإنسان والكون، نتيجة لهذا الصدور الشخصي الكلّي ستغدو القصيدة قصيدةً تحمل كل شيء: السّياسة والدّين والتّاريخ والعلم والوحل والزّهر"[3].

و يعرف يوسف الخال "الحداثة في الشعر إبداع و خروج عن به على ما سلف،و هي لا ترتبط بزمن و كل ما في الأمر أنّ جديدا ما طرأ على نظرتنا للأشياء ،فانعكس في تعبير غير مألوف ،و الحداثة لا تكون باتباع أشكال تعبيرية شعرية معينة ،بل اتخاذ موقف حديث تجاه الحياة و منها تجاه القصيدة"[4].

---

[1] ينظر : علي وطفة: مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة
https://www.aljabriabed.net/n43_08watfa.htm

[2] علي عشيري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة الآداب القاهرة مصر، ط 5 ,2008 ، ص 09.

[3] عبد القادر محمّد مرزاق، مشروع أدونيس الفكري والإبداعي. المعهد العالمي للفكر الإسلامي الولايات المتحدة الأمريكية, ط 1، 2008م، ص 93.

[4] يوسف الخال، الحداثة في الشعر، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1978، ص 8، 9.

و الأكيد أن الحداثة العربية هي حداثة فكرية قبل أن تكون حداثة شعرية مهمتها النهوض بالفكر العربي، وتحريره من قيود التفكير التقليدي، إنّها "حركة فكرية عقلانية علمية هدفها تغيير المفاهيم والمناهج التقليدية التي تعالج الفنّ والأدب، وإرساء مفاهيم وقواعد جديدة"[1].

كما أن الحداثة لا تهدف إلى هدم الماضي و نسفه بل تسعى إلى الغوص فيه و استكناه كل ما هو نابض بالحياة فيه لإعادة صياغته مع مقتضيات العصر.

"والحداثة أن تجد الطريق لكي ما تكون مُسْهِمًا فاعلًا في حضارة هذا القرن، لذلك فأنت مطالب بأن يكون في تَمرُّدِكَ ما يستمدُّ بعضَ حيويّتِكَ من جُذُورِكَ، وتُضيف إليه من أصالتك، فتصبح جزءًا فاعلًا في عصرك، جزءًا غير منقطع عن ماضيك، ولكنّه جزءٌ لا يُكرّرُ ماضيك، ويُحفّزُه التحرّر حتى من حاضرك، أنا لا أقول بالانقطاع المطلق، فأنا أومن بأن التّراث قوّة هائلة في حياتنا، ويجب أن تبقى له القوّة المغذّية للنّفس"[2].

يوضّح هذا الموقف أنّه يجب الرَّبط بين الجانبين المختلفين لتتحقّق الحداثة، فهو يربطها أولا بالتمرّد على الماضي من جهة، والارتباط بالحضارة الراهنة من جهة أخرى، غير أنّ التمرّد لا يكون مطلقًا، فهناك من الماضي ما يغذّي به الحاضر ويمدّه بالطاقة الحيوية التي تحفزّه للتطلّع إلى مستجدّات العصر.

وأمام هذا التعدد في تعاريف الحداثة، لا عجب أن يُقال كذلك إنها "**مشروع غير مكتمل.**" [3] ومن هذا المنطلق يتضح لنا جلياً أن الحداثة مفهوم هيولي،لا يمكن لأي كان التقاطه، أو الإحاطة به .

2- المظاهر الجمالية للحداثة الشعرية العربية:

حفل الشعر العربي المعاصر بكثير من مظاهر الحداثة ،التي أسهمت في بنائه الفني و ارتقت بجماليته إلى أبعد الحدود ،نذكر منها:

---

[1] سمير سعيد حجازي النقد الأدبي وأوهام روّاد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2015، ص 54.

[2] عيسى بلاطة نافذة على الحداثة، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2002، ص 05.

[3] طه عبد الرحمن، روح الحداثة (المدخل الى تأسيس الحداثة الإسلامية). المركز الثقافي العربي؛ الدار البيضاء ـ المغرب. ط1: 2006م. ص23.

2-1- التكرار:

يعد التّكرار أبرز هذه الظواهر الحداثية التي وظفت بصورة بارزة في الشعر العربي المعاصر،إذ تطورت هذه النظرة إلى هذه الظاهرة التراثية من مجرد توظيفها أداةً لتوكيد الكلام و المبالغة فيه،إلى توظيفها بوصفها شكلا فنيا يسهم في بناء قاعدة جمالية ودلالية في النص الشعري لأنَّ الشاعر المعاصر وجد في التراكم الكمي الذي تحدثه الأصوات و الكلمات والجمل ،و المقاطع المكررة وسيلة لبث أحاسيسه الداخلية و إبراز مواقفه اتجاه مختلف القضايا الإنسانية الراهنة.

لذا فالتكرار "وسيلة إيحائية بارزة، تتعدّد أشكاله وصوره بتعدّد الهدف الإيحائي الذي ينوط به الشاعر "[1] ،حيث استعمله بطريقة عبقرية أسهمت في جذب عدد كبير من المتلقين ،و ذلك لتشكيله موسيقى تطرب الآذان،و تصفي الأذهان .

و هو" من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدّي في القصيدة دورًا تعبيريا واضحًا، يوحي بمدى سيطرته (التكرار) على رؤيا الشاعر وعلى مشاعره، وصوت يعلو كل الأصوات، بحيث لم يعد يسمع سواه أو يرى سواه "[2].

وقد عمد كثير من الشعراء المعاصرين إلى استعمال هذه التقنية الحداثية في أشعارهم فبرزت أسماء لامعة تمكنت من توظيفه توظيفًا جماليا زادة قصائدهم روعة وتألقا،ومن بين هذه الأسماء الشعرية نازك الملائكة التي تقول في قصيدتها "الكوليرا" :

طلع الفَجرُ
أَصخْ إلى وَقعِ خُطَى المَاشِين
في صَمت الفَجرِ، أصخْ، أُنظُر رَكبَ البَاكِين
عَشرَةُ أموتٍ، عِشرُنَا
لا تُحصى أصِخْ لباكينا
اسمع صَوتَ الطِفل المِسكِن

[1] المرجع السابق، ص 61.

[2] علي عشري زايد، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص 59.

مَوتَى، مَوتَى، ضاع العددُ

مَوتَى، مَوتَى، لم يَبقَ غدُ

في كُلِ مكَان جَسَدٌ يندبِه مَحْزُونْ

لا لحْظَة إخلادٍ لا صمت

هذا ما فَعَلَت كَفُّ الموتْ

الموتْ الموتْ الموتْ

تشْكو البَشَرِيَة تشْكو ما يرتكب الموتْ[1]

نلاحظ من خلال هذا المقطع أنَّ نازك الملائكة كررت لفظة (الموت)عدة مرات، إذ جعلت منه لازمة ضرورية في كل المقاطع وذلك للتعبير عن الوضع المتأزم الذي عاشته مصر نتيجة اجتياح الوباء و الآثار النفسية التي خلفتها الكوليرا على نفسية الشاعرة.

وعليه فتوظيف التكرار في الشعر ليس بالعملية السهلة و لا بالأمر الهين بل إنَّها عملية فنية تتطلب وعيًا و إدراكًا من الشاعر بحقيقة البنية التكرارية الموظفة، إلى جانب قدرته على تطبيق مختلف الضوابط التي تحكم هذه الظاهرة حتى يكون استخدامه استخدامًا واعيًا يناسب تجربته الشعورية ويكون قادرًا على ترك أثر سحري وإيحاء رائع في نفس المتلقي.

2-2-القناع:

إن القناع (Le masque) مصطلح مسرحي أساسا لم يدخل عالم الشعر إلا مع بدايات هذا القرن ليؤدي وظيفة جديدة تختلف نسبيا عن الوظيفة التي كان يؤديها في المجال المسرحي والطقوس البدائية[2].

وقد شغل القناع مكانا لدى الشعراء العرب مع بدايات القرن العشرين ليكون الغرض مِن استخدامه مختلفا نسبيا عن الغرض المسرحي، خاصة بعدما أصبح الشاعر المعاصر بحاجة إلى قناع يلبسه أثناء كتابته في وصف القضايا الواقعية "ولعلَّ العلاقة الوطيدة بين المسرح والقناع من الأسباب

---

[1] نازك الملائكة،شظايا ورماد،مج2،د.ط،دار العودة،بيروت-لبنان،1997،ص139-140

[2]- ينظر: علي حداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ص149.

التي دفعت بعض الباحثين إلى افتراض أنَّ القصيدة القناع قد وجدت من منظور الشعر الدّرامي وأن بداياتها إنَّما تختلف في رحمِ النّصوص الشعرية المسرحية [1].

"وقد جمع الشاعر الحديث بإدخاله القناع في شعره بين الواقع والتراث؛ فدرامية القناع تحقق محاكاة الواقع للذات وموضوعية القناع تعمل على استدعاء التراث وتمثّله (فالنزاعة الدرامية في الرؤية الواقعية تستلهم التراث التعبير عن الواقع في صدق)... وإن كان زمن الرّمز التراثي مختلفًا عن زمن الرّمز المعاصر من حيث الدلالة الفكرية. غير أن هذا المزج لا يصل إلى مستوى التَماهي الكلي إذ يبقى ملامح الدّلالة المعبرة عن الذات والشخصية التراثية ذاك التراوح بين المد والجزر تخفيفًا من إغراق الشعر الحديث في الغموض والإبهام والاستعلاء على قدرات القارئ العادي "[2].

إنّ تقنية القناع "تمنح الشاعر مجالا للتّعبير ليفصح عن أفكاره على نحو فني يبعد القصيدة عن المباشرة والسطحية ،وينأى عن أن يكون عرضة للأذى والملاحقة".[3]

فالشاعر "أمل دنقل"مثلا يوظف شخصية (المتنبي) قناعًا في قصيدته "من مذكرات المتنبي" وعلاقته في الفترة الأخيرة "بكافور" في دلالة من الدلائل التي تشير إلى السلطة العربية المعاصرة، يقول:

يَقُومُ يَستَنشِدُنِي عَنْ سَيْفِهِ الشُجَاعِ
وسَيفُهُ فِي غِمْدِهِ ... يَأكُلُهُ الصَّدَأُ
وعِنْدَمَا يَسْقُطُ جِفْنَاهُ الثَّقِيلَانِ وَيَنْكَفِئُ
أسِيرُ مُثقَلَ الخُطَى فِي رَدَهَاتِ القَصْرِ
أبْصِرُ أَهْلَ مِصْرَ ....
يَنْتَظِرُونَهُ ...لِيَرفَعُوا إِلَيْهِ المظلمَات والرّقَاع!
جَارَتِي مِنْ حَلَب، تَسْأَلُنِي: "مَتَى تَعُودُ"؟

---

[1] مُحَمَّد علي كندي، الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، (السياب، نازك والبياتي)، دار الكتابة الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان،ط1، 2004م، ص66.

[2] علي قاسم الزبيدي، درامية النص الشعري الحديث، دمشق، سوريا، ط 1، 2009، ص 116.

[3] غلام رضا كريمي فرد، قيس خزاعل، الرموز الشخصية والأقنعة في شعر "بدر شاكر الشياب"، (مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية)، العدد 17 صيف، 2010م، ص15.

قُلْتُ": الجُنُودُ يَملَأونَ نُقَطَ الحُدُود

مَا بَيْنَنَا ومَا بَيْنَ سَيْفِ الدَولَةِ

قَالَتْ: قَدْ سَئِمتُ –مِثْلك–القِيَامَ والقُعُود

بَيْنَ يَدي أَمِيرِهَا الأبْلَه

لَعَنْتُ كَافُورًا

"ونِمتُ مَقْهُورًا.[1]

استطاعت شخصية "المتنبي" أن تكتسب حضورا لافتا عند أغلب الشعراء العرب باعتبارها قناعًا تراثيًا أدبيًا من جهة، ولكونه شخصية مثلت العلاقة التضادّية مع السلطة، وعلى الرغم من اتفاقه أحيانا معها، أو اختلافه، ولكن علاقات التنافر التي جرت، لا سيما بينه وبين كافور حاكم مصر آنذاك، مثّل بالنسبة للشعراء العرب تضادًا وتنافرًا مع السلطة، فاستحسنوا هذا الرمز الذي صوّر العلاقة المتوترة بين الشعراء العرب والسلطة.

وتأسيسا على ما سبق وظف الشاعر المعاصر القناع للخروج عن ذاته ،و منح قصيدته طابعا موضوعيّا، ونزعة درامية نتجت عن وجود صوتين في القصيدة متداخلين ومتصارعين يمثل القارئ طرفا فاعلا في إنتاج الدلالة الكلية للقناع.

2-3- الغموض :

يعد الغموض من أهم مظاهر توجهات الحداثة في القصيدة العربية المعاصرة ،حيث "لا يغض من قيمة الشاعر المعاصر أن يقل جمهوره، فالعبرة بنوع هذا الجمهور لا عَدد أفراده. إنّ الجمهور الذي سيَقرأ شعر الشاعر المعاصر إنّما هو جمهور الصّفوة الذي يعرف للقصيدة حقّها وللشاعر جُهده، فإذا توافر للقصيدة المعاصرة قارئ بهذه المواصفات فسوف يكون غموض القصيدة مبعث لذّة له، ومطلبًا أساسيّا يتسبّب عن افتقاده الشعور بالإحباط "[2]، ولكي يحقق الغموض غايته التي وجد من أجْلها لا بد أن يلتزم مجموعه العوامل التي تجعله خلّاقًا حيث يقول عبد القادر القط: "وليس الغموض عيبا في ذاته إذ كان قائما على فلسفة فنّية واضحة المعالم والغايات عند الشاعر، وكان على قدر

[1] أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة"، دار العودة، بيروت، دط، 1995م، ص238.

[2] أحمد فهمي، قصيدة التفعيلة وسماتها المستحدثة، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2012ص 372.

من الشفافية والقدرة على الإيحاء، نابعا من طبيعة التّجربة الشعرية لشاعر مسيطر على اللغة بأسرارها وإمكاناتها "[1].

و يرى محمود درويش أن ظاهرة الغموض الشعري هي من نتاج المثاقفة والانفتاح القرائي على الغرب ،.فقد ظل "محمود درويش" معتدلاً في قوله للشعر، ومحارباً للغموض المستغلق،. داعيًا إلى جماهرية القصيدة إلى أبعد مدى. يقوّل:" أما أن أسعى أن أكون رمزاً، وأحرص على أن أكون رمزاً فأنا لا أريد ذلك، أريد أن يُنظر إليّ من دون أن أحمل أعباء رمزية مبالغاً فيها، ولكن يُشرّفني أن يُنظر إلى صوتي الشخصي وكأنَّهُ أكثر من صوت أو أن أناي الشعرية لا تُمثل ذاتي فقط، وإنَّما الذات الجماعية أيضاً. كل شاعر يتمنى أن يصل شعره إلى مدى أوسع، وأنا لا أصدّق الشعراء الذين يحددون القيمة الشعرية من منظور عزلتهم عن القرّاء، أنا لا أقيس أهمية الشعر بمدى انتشاره أو انعزاله. لكن أن تتحقق المسألتان، أي الانتشار مع الجودة الشعرية، فهذا ما يتمناه أي شاعر، وإلا لماذا يقرأ الشعراء شعرهم في الأمسيات؟ لماذا يطبعون دواوينهم إذا كان القارئ لا يهمهم؟[2] ولكن شكَّلت مسألة الغموض تضارباً نقدياً؛[3] إذ يرى أدونيس أن الغموض في الشعر العربي، هو روح الحداثة وجوهرها من منطلق أن هذه الأخيرة (الحداثة) في تصوره هي الخوض المجهول واللاَّمعلوم، حتى قضية المباشرة وفهم القارئ لشعر الشاعر يعتبره عيب من عيوبه. وهذا بالنسبة لنا حالة عبثية أكثر منها جمالية وفكرية هذا من جهة، من جهة أخرى هي محاولة لقطع الصلة بين الشاعر والقارئ و إقصاء هذا الأخير من العملية الإبداعية.

ويعد الشاعر "بدر شاكر السياب" من الشعراء الذين بانت ظاهرة الغموض جلية في أشعاره ويكاد يجمع النقاد المعاصرين على أن قصيدة "أنشودة مطر" خير مثال عن عطف التداخل والتشابك اللّذان يتجلاهما الغموض يقول :

أَصِيحُ بِالخَلِيجِ: "يَا خَلِيجَ...
يَا وَاهِبَ اللَّؤْلُؤِ، وَالمَحَارِ، والرَدَى!"

---

[1] أحمد فهمي، قصيدة التفعيلة وسماتها المستحدثة ، ص 373.

[2] عبده وازن، محمود درويش الغريبيقع على نفسه(قراءة في أعماله الجديدة) ،ط1، 2006، ص 68.

[3]. أمُحَمَّد مصطفى تركي، شعرية الغموض (في الخطاب النقدي العربي المعاصر بين إشكالية الوعي و الوعي المضاد)،دار غيداء عمان ،الأردن،ط2014،1م، ص 86.

فَيُرجِعُ الصَّدَى

كَأَنَّه النَسِيجْ:

"يَا خَلِيجَ

يَا وَاهِبَ المَحَارِ والرَدَى."

ويَنْثُرُ الخَلِيجُ مِن هِبَاتِهِ الكثَارْ

عَلَى الرِمَالِ، رَغْوَةَ الأُجَاجِ، والمَحَارِ.[1]

هذا المقطع يحمل الكثير من أصداء النفس الداخلية التي تترجم المعانات في الغربة حيث كتبها الشاعر وهو في الكويت بعيدا عن الوطن، وهذه الصيحات بالنداء تنم عن وجع الغربة العميق، وهذه الرموز القليلة "اللؤلؤ، المحار، رغوة..." جعلت المقطع على درجة من الغموض.

وتأسيسا على ما سبق، دخلت القصيدة المعاصرة أبوابا جديدة في سبيل توكيد حداثتها ومعاصرَتِها واكتسبت شيئا من الغموض المطلوب الذي يتحقق معها عمق الدلالة وغور في المعاني بعيدا عن الانغلاق والإبهام.

2-4-الرمز:

يعدّ الرّمز أحد تجليات مفهوم الحداثة في القصيدة العربية المعاصرة، ووسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدّائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية يثري بها لغته الشعرية.

" الايحاء أي التّعبير غير المباشر عن النّواحي النّفسيّة المستترة التي لا تقوى على أدائها اللّغة في دلالتها الوضعيّة"[2]، إذن هو تعبير عن مشاعر نفسيّة من الصّعب الإفصاح عنها بطريقة مباشرة.

[1] – بدر شاكر السياب، الديوان السابق نفسه، مجموعة "أنشودة مطر"، ص125،126.

[2] أسماء خوالديّة، الرّمز الصّوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدا، د.ط، الرّباط، المغرب، دار الأمان ،د.ت، ص17.

والرّمز الأدبي " تركيب لفظيّ يستلزم مستويين: مستوى الصورة الحسيّة التي تأخذ قالبا للرّمز ومستوى الحالات المعنويّة التي نرمز إليها بهذه الصورة الحسيّة"[1]،وبناءا على ذلك فالرّمز الأدبي مستويين اثنين: هما مستوى الصورة الحسيّة، ومستوى الحالات المعنويّة.

أما الرّمز الفني هو" البنية الحيّة التي يصحّ التوقف عندها وتأملها لذاتها قبل أن تُتجاور إلى غيرها وأقوى أماراته حساسيّته المرهفة بالسّياق، وتأثره البالغ في أعطافه"[2].لذا لا بدّ من الإمعان في الرّمز لذاته للوصول إلى فحواه، ومن خصائصه ومميّزاته علاقته الوطيدة بسياقه.

" ولا يحقق الرّمز شيئا إذا أقحم على العمل الأدبي دون أن يستدعيه سياقه، فالقوّة في أيّ استخدام خاص للرّمز لا تعتمد على الرّمز نفسه بمقدار ما تعتمد على السياق الذي يعمل فيه ويكون معه مجالاته الإيحائيّة وهي المقصود من وراء هذا الاتكاء على الرّمز"[3].

و قد تنوعت الرموز المستخدمة في القصيدة الشعرية ،فمنها :الصوفي،التاريخي ،الأسطوري،و الديني، هذا الأخير الذي وظفه عز الدين المناصرة في عدد من قصائده نذكر منها قصيدة "تأشيرة خروج" حيث يقول:

"أنا منذ خمسٍ أنوح.

أنا منذ طوفان نوح.

أجوبُ صحاريك، أسأل عن واحة أو جزيرة.

سأرحلُ غدا، فاسمعيني، اسمعي كلماتي الأخيرة " [4]

---

[1] محمّد علي كندي، الرّمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السيّاب ونازك والبياتي)، ط.01، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2003م، ص54.

[2] مصطفى ناصف، الصورة الأدبيّة ،دار الأندلس ،بيروت، لبنان، د.ط ، د.ت، ، ص115.

[3] مُحَمَّد علي كندي، الرّمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص55.

[4] عزالدّين المناصرة، الأعمال الشعريّة (يا عنب الخليل، الخروج من البحر الميّت، مذكّرات البحر الميّت، قمر جرش كان حزينا، بالأخضر كفّناه)، ط.01، عمان، الأردن، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، 2006م، ج.01، ص144.

يستلهِم الشّاعر هنا رمز نوح عليه السلام وهو شخصية دينية اقترنت في الغالب بالطوفان فيصورِ من خلاله معاناة الذّات الفلسطينيّة واكتئابها، فقد قدّر للشّاعر أن يعيش قبل الطّوفان وأن ينجو منه، فظلّ واقفا يتطلّع إلى شاطئ الأمان والحريّة وقد أعياه البحث عن تأشيرة الخروج [1]،فارتبط توظيف رمز نوح بالثّورة والغضب والاحتلال والعودة والنّجاة.

خلاصة القول،يعد توظيف الرمز والاستفادة من دلالته ومصادره المختلفة من أبرز مظاهر الحداثة التي حقّقها الشعراء المحدثون والمعاصرون على مستوى القصيدة العربيّة ،فنجدهم تارة يستقون رموزهم من المواقف التّاريخيّة وتارة من الأساطير العربيّة، واليونانيّة، تارة من القرآن، وتارة أخرى من الصّوفيّة. هذا ما يعلّل أن الشعراء كانوا مطّلعين على ثقافة الغير إلى جانب ثقافتهم العربيّة والإسلاميّة، كما يؤكّد درايتهم أنّ الشعر الجيّد لا بدّ له من لغة شعريّة إيحائيّة غير مباشرة يبعث في المتلقي روح الاستكشاف وإبانة الغموض ما يضمن للنصّ ديمومة أطول قراءات أكثر تنوّعا.

2-5 الأسطورة:

أجمع النقاد والدارسون على أنّ اِلتحام الشاعر المعاصر بشعره عبر الأسطورة ولجوئه إليها ضرورة لا مفرّ منها، حيث وجد في الأسطورة الطّاقة الرمزية التي تعينه على تحقيق ما يودّ تجسيده في قضايا مجتمعه فهو "يدرك العلاقة الوثيقة بين الأسطورة والشعر، ويعلم تمامًا أن الأسطورة كانت أداة للتعبير الشعري الذي يقوم على الرمز والإيحاء "[2].

كما رأى في الأسطورة غِنًا فَنيًّا قد يساعد على اكتشاف ذاته وتعميق تجربته "وذلك بخلق موازنة فنية بين حادثة معاصرة تتفق في بعض أمْشَاجِهَا مع الحداثة القديمة "[3] ، و أن حرية التعبير المتجاوز للحدود الاجتماعية المؤطرة بمنظومة قيم أتاحت له فرصة نقل التجربة من مستوى شخصي ذاتي إلى إنساني جوهري، ومن فردية التجربة إلى عمومها.

---

[1] ينظر: ناصر لوحيشي، الرّمز في الشعر العربي، ط.01، لبنان، عالم الكتب الحديث، 2011م، ص128.

[2] علي قاسم الزبيدي،درامية النص الشعري الحديث ، ص 172.

[3] المرجع نفسه، ص 173.

ومن الأساطير التي وظفها الشعراء المحدثون أسطورة عشتار و تموز ،فالسياب مثلا حاول استدعاء رمز "تموز" والذي يعني "الابن الحق للمياه العميقة، وهو يظهر في آداب بابل الدينية محبا لعشتروت الآلهة الأم الكبرى التي تجسد قوى التناسل في الطبيعة"[1]، ليجعل منه رمزا للانبعاث الحضاري لبابل بعدما كان ضحية اضطهاد، أمل يمثل الشعب العراقي المضطهد الذي احتاج لعشتار الحياة والخصب والنور التي استدعاها قائلا:

عشتَارُ رَبَّةُ الشَمَالِ وَالجَنُوبْ

تَسِيرُ في السُهُودِ والوِهَادْ

تَسيرُ في الدُرُوب

تَلْقِطُ مِنْهَا لَحَمَ تَّمُّوزَ إِذَا انْتَثَرْ

تَلُمُه مِنْ سَلَّةٍ كَأَنَّهُ الثمر.

وتأسيسا على ما سبق يمكن عَدُّ الشاعر المعاصر قد نجح في توظيفه للأسطورة، وقد اعتمد على مدى ما يتمتع به من قدرة على استلهامها بصورة فنية تبعده عن المباشرة، وفي الوقت نفسه على تكيفها مع مظاهر الحداثة إلى حد بعيد.

خاتمة:

أسست الحداثة الواعية لنص شعري عربي جديد ،حافل بقضايا إنسانية متنوعة ،و مرتكز على عدة مظاهر جمالية،ندرج بعضها في مايلي:

-يعتبر التكرار تقنية من تقنيات الحداثة استعان بها الشاعر بذكاء مدروس، وبطريقة منظّمة، لتحقيق وظيفته الفنيّة، أبرزها الحدّ من التدفّق الشعوري، وإعطاء القصيدة نفسًا جديدًا، يستعيد من خلاله الشاعر طاقته ويجدّدها عبر محطات القصيدة.

- إنّ توظيف الشاعر المعاصر للقناع حاد به عن الذاتية ليحقق الموضوعية، ويعبر بلسان الجماعة عن قضايا كونية لا مشكلة فردية تؤرقه و تخلخل كيانه .

[1]- ريتا عوض، أسطورة الموت والإنبعاث في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت ط1، 1978م، ص03.

– لقد بات استخدام الشعراء المحدثين للرمز في شعرنا المعاصر أمرًا ضروريًا، وذلك لما تحمله هذه الآلية من أبعاد دلالية وفنّية ترتقي بالشعر إلى مستويات عظيمة وتجعله قريبا من نفس المتلقي.

–استلهم الشعراء المحدثون الأساطير بنسب متفاوتة ،ساهمت في إثراء الشعر و إضفاء جمالية عليه.